الكتاب الثالث

افلاس الحمـــاية

١٦) المقاومة الوطنيـــة (المسلحة والسياسية)

١٧) الازمة المغربية

١٨) وجهة الاســتعمار فى الظروف الراهنة .

١٩) المصالح الوطنية

oueikandi.com

المقاومة الوطنية

أ) المقاومة المسلحة

ب) المقاومة السياسية

كان الشعب المغربى فى عراك منذ القرن التاسع عشر مع الاستعمار الاوربى وضد حركة التوسع الفرنسى والاسبانى وقد تم تطويق المغرب باستيلاء فرنسا على الجزائر وشنقيط واستقرار الاسبان بسواحل الريف فلم ير المغرب بدا من خوض غمار المعركة لضمان وجوده وكان هذا الكفاح سلميا فى بادىء الامر عن طريق الدبلوماسية فقدر للمغرب الانتصار فى هذا الميدان ، غير أن الحصار السرى الذى ضرب على المغرب من طرف جاريه الاقربين فرنسا وأسبانيا لم يسمح للدولة الشريفة بأن تجدد نظامها العسكرى الى حد أنه عندما صوبت فرنسا نيران مدافعها على الدار البيضاء ووجدة اضطر المغرب المهاجم أن يدافع عن نفسه بسلاح غير متكافىء مع أسلحة الخصم .

وقد اغتنم الفرنسيون عامل المفاجأة فوطدوا أقدامهم بالدار البيضاء ثم احتلوا تدريجيا السهول المغربية الممتدة جنوبى المدينة وشرقيها ثم احتلوا فاس عاصمة المغرب عام ١٩١١ ، وفى ٣٠ مارس سنة ١٩١٢ أجبر السلطان مولاى عبد الحفيظ على امضاء معاهدة الحماية .

المقاومة المسلحة

فماذا عسى أن يكون موقف الشعب المغربى ؟

أيخضع أم يحمل السلاح ؟

أيقبل بدون مقاومة ولا صمود الانحطاط من حالة الاستقلال الى حالة العبودية ؟

ان الجواب عن هذه الاسئلة يسهل على من عرف طبيعة المغاربة وعاش بين ظهرانى تلك القبائل المغربية الابية الشديدة التى تغار الى النهاية على استقلالها .

وان استقاء بعض الشواهد من كتاب « البربر المغاربة واخضاع الاطلس الاوسط » الذى نشره المقيم العام الحالى الجنرال كيوم ـ لأكبر دليل على ذلك .

فقد أكد الجنرال كيوم قائلا : « ان الاحساس السائد عند البرابرة والذى تنمحى أمامه جميع الاحساسات الاخرى هو هيامهم الفطرى بالاستقلال وان كراهيتهم الغريزية لكل سيطرة لتفسر لنا ما أبدوه من مقاومة يائسة لكل توغل أجنبى ورغم شدة تعلق البربرى بمتاعه فهو لا يتردد مع ذلك فى التضحية به كله فى هذا الكفاح فكل واحد يدافع عن بلده الى النهاية بشدة تدعو الى الدهشة ولكن تثير الاعجاب فان البربرى يساهم فى النضال بمجرد ما يبلغ سن حمل السلاح واحتقاره للموت يزيد فى أنفته فهو دائما مستعد للدفاع عن تراب قبيلته والهبوب للغارة تلبية لنداء اخوانه ! انه محارب لا نظير له لانه أحسن محارب فى أفريقيا الشمالية بدون نزاع » .

وهكذا فان روح الاستقلال التى تذكى المغاربة قد دفعتهم ـ كما يعترف بذلك الجنرال كيوم نفسه ـ الى محاربة المغير الفرنسى بكل قواهم وهل كان يقع غير هذا وقد عاش المغرب مستقلا منذ ثلاثة عشر قرنا صادا بحد السلاح جميع محاولات التدخل الاجنبى .

والاتراك أنفسهم الذين كانت سلطتهم تمتد الى العالم الاسلامى أجمع أرغموا على الوقوف فى تلمسان بشرق الحدود المغربية .

وهكذا كان عزم الشعب المغربى وطيدا فان فرنسا لن تستقر فى المغرب بسهولة ، بل سيحارب المغاربة هذا المغير ، وسيرفضون الوعود المعسولة التى يعرضها عليهم وقد اعترف الجنرال كيوم قائلا : « ليست هناك أية قبيلة جاءت الينا خانعة من تلقاء نفسها ولا استسلمت لنا بدون كفاح وهنالك كثير من القبائل لم تستسلم حتى استنفدت جميع وسائل المقاومة .. ! نعم لم تخضع أية قبيلة حتى هزمت بالسلاح وكل مرحلة من مراحل تقدمنا كانت تعترضها معارك وكنا كلما بلغنا حدا من الحدود اضطررنا الى اقامة معاقل ظلت فيها وحداتنا محروسة طيلة أعوام بحراسة خطرة لا تبعث على الفخر » .

ثم أضاف قائلا : « ان المبادىء التى كانت عزيزة على المريشال ليوطى وهى (أظهر القوة تستغن عن استخدامها) و (ورب ورشة تغنى عن فيلق) لم تكن لتنطبق كلها على سكان مصممين على الدفاع عن استقلالهم الى آخر حد » .

وهكذا نشبت حرب المغرب وكانت حربا طويلة مدمرة شاملة ..! بدأت عام ١٩٠٧ بنزول الفرنسيين فى الدار البيضاء ولم تنته الا بعد ذلك بتسع

وعشرين سنة فى عام ١٩٣٦ •

كان الفرنسيون يحاربون بوسائل واسعة النطاق : قيادة اختصاصية ، وجنود محترفين مدربين على حرب استعمارية خاصة •

وكان المغاربة يقاومون مقاومة شديدة « جديرة باعجابنا » كما يقول الجنرال كيوم الذى يضيف « ان هذه المقاومة تستمد أصلها من ماض مستقل » •

وقد استغرقت المقاومة المغربية مدة قبل أن تنتظم فقد اتخذت أولا شكل ثورة (ثورة الدار البيضاء والحوادث الدامية التى وقعت بفاس فى أبريل سنة ١٩١٢) ولكنها ما لبثت أن اندلعت فامتدت الى باقى أنحاء المغرب ، واليكم أهم مراحل هذا الكفاح :

ففى سنة ١٩١٣ احتل الفرنسيون سهول مكناس وتادلة وخنيفرة •

وفى سنة ١٩١٤ اغتنم سكان الاطلس شبوب الحرب العظمى لانزال ضربة بالمغير فأحرزوا انتصارات باهرة كالتى حصلوا عليها فى معركة الهرى (نوفمبر سنة ١٩١٤) •

وفى سنة ١٩١٧ تفكك التكتل البربرى فى الاطلس الاوسط من جراء ضربات جنود الاحتلال ولكن الكفاح استمر مع ذلك فى شكل حرب عصابات ويجب أن ننتظر سنة ١٩٢٠ لمشاهدة انتهاء مقاومة زيان العنيفة دون أن يرضى أبدا القائد الماجد محمد وحمو الزيانى بارضاخ رأسه الاشيب الابى استسلاما للخصم •

وحرب الريف حلقة أضيفت الى معركة الاطلس ، ففى المدة المتراوحة بين سنة ١٩٢٢ و سنة ١٩٢٦ قاوم ابن عبد الكريم التكتل الفرنسى الاسبانى ، وقد اضطرت فرنسا وأسبانيا من أجل اخضاع جيش الريف الى حشد قوات مسلحة هائلة تحت قيادة مريشالين كانا من أعظم قواد العصر وهمابيتان وليوطى • وتجنيد عدد ساحق من القوات وأجهزة من أحدث طراز •

وقد نفى ابن عبد الكريم الى جزيرة لاريونيون رغم الوعود التى أعطيت له قبل الاستسلام بالاحتفاظ بحريته ، ثم لجأ الى القاهرة منذ عام ١٩٤٧ ، ولا يزال ابن عبد الكريم هو البطل الوطنى والمتزعم الماجد للاستقلال المغربى ، والرجل الذى يشيد به تاريخ العروبة وآدابها •

وقد دارت آخر مراحل المقاومة المغربية المسلحة من عام ١٩٣١ الى عام ١٩٣٦

فى الاطلس الاكبر الذى تضافرت ضده حملات خمسة جنرالات فرنسيين وقد صمد رجال المقاومة المغربية صمود اليائس .

وقد أشاد الجنرال كيوم بهؤلاء الرجال عند ما كتب بعد ذلك يقول : « ان خصمنا هو أحسن محارب فى أفريقيا الشمالية ، فهو شجاع الى حد المجازفة وهو يعرف كيف يضحى عن طيب خاطر بمتاعه وأهليه ، بل يضحى أسهل من ذلك بحياته للدفاع عن حريته » .

ان المغرب لم يساوم فيما أراقه من دماء فى سبيل الدفاع عن كيانه ، فقد أجاب المغير بحد السيف .

* * *

ب) المقاومة السياسية

وبينما كان المقاومون المسلحون المغاربة يواصلون كفاحهم فى استماتة واستبسال رغم عدم تعادل سلاحهم مع الخصم بدأ سكان النواحى المحتلة ينظمون أنفسهم لاستئناف الكفاح فى شكل أقل ظهور ، ولكن ليس أقل مفعولا ، هنالك نشأت حركة وطنية مغربية قامت ببعث العزائم وانهاض الهمم واستمد قادتها ايمانهم واقدامهم من هذا التاريخ الحديث الحافل بالآلام والمجد ،فقدشاهدمعظمهم كيف فقد المغرب استقلاله ، وان الذكريات التى يعيشها الناس لاعظم قوة توحدهم ، فقد قال ذلك رونان عند ما لاحظ بحق : « ان للاحزان فى ميدان الذكريات الوطنية مفعولا أقوى من مفعول الانتصارات لانها تفرض واجبات ، وتوجه المجهود المشترك » .

وهكذا تتجلى الوطنية المغربية فى مظهرها الحقيقى لا كحركة عدائية للاجانب ، ولا كحملة ضد فرنسا ، ولكن كرد فعل عادل لشعب يكافح ليعيش عيشة الكرامة والعدل والحرية .

الظهير البربرى

والظهير البربرى هو الذى كان مبدأ المظهر الجديد الذى اتخذته الحركة الوطنية المغربية فقد أصدرت السلطات الفرنسية ـ خلال عهد الوصاية التى كانت فى السنوات الاولى لجلوس السلطان الحالى على العرش ـ مرسوما يحمل تاريخ ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ ويرمى الى فصل سكان المغرب المدعوين خطأ برابرة

عن الشريعة الاسلامية التى تنطبق عليهم منذ عدة قرون •

وبهذا القرار الجديد وقع فصل ثلاثة أخماس سكان المغرب عن القوانين التى يصدرها السلطان المؤتمن على السيادة الوطنية فلم يكن اذن شك فى أن هذا كان افتياتا ء لى امتيازات السلطان وتمزيقا للوحدة المغربية الى كتلتين متعارضتين : العرب والبربر •

وكانت نية محررى الظهير البربرى واضحة لا غبار عليها ، ويكفى أن نقرأ هذه الفقرة المقتبسة من محضر جلسات اللجنة الفرنسية المكلفة بدرس المسألة : « ومن جهة أخرى فليس هناك أى ضرر فى فصم وحدة النظام القضائى فى المنطقة الفرنسية ما دام الغرض هو تعزيز جانب العنصر البربرى للقيام بما قد يطلب منه من تحقيق التوازن فى الكفة ، بل ان هنا لك بالعكس فائدة محققة من الوجهة السياسية نجنيها من وراء تكسير هذه المرآة » •

وقد اتخذت تدابير لنفس الغرض فى الميدان الثقافى منذ عام ١٩٢٣ ، من ذلك تأسيس المدرسة البربرية التى حرم فيها تعليم العربية التى هى اللغة الوطنية وهكذا كانت الغاية المزدوجة وهى اخراج البربر من الاسلام وتجريدهم من جنسيتهم المغربية •

وعند ما تحقق الشبان المغاربة بالخطر الذى يهدد الوحدة الوطنية وسيادة السلطان نظموا صفوفهم وهبوا لكشف الستار عن مطامح الادارة الفرنسية أمام أنظار الرأى العام ، وعند ذلك اتسع نطاق الحركة وصارت تتغلغل فى أوساط الجماهير الشعبية •

وقد تلقت السلطات الفرنسية فى كبريات المدن الامر بقمع الحركة فحكم على بعض الزعماء بالنفى أو الاعتقال بينما جلد آخرون بالسياط •

وقد تردد فى الشرق اذ ذاك صدى الاحتجاجات المغربية وأعمال القمع التى عقبتها فكتبت الصحف العربية طوال عدة شهور تعليقات ضافية على هذه الحوادث وانعقدت مؤتمرات وتأسست جمعيات •

وبالجملة فان الثورة ضد محاولات تمزيق الوحدة المغربية اتسع نطاقها سواء داخل المغرب أو فى باقى أجزاء العالم الاسلامى الى حد أن حكومة باريس اضطرت بعد حيرة دامت أربع سنوات الى تعديل بعض مقتضيات الظهير البربرى •

وبدلا من أن تستفيد السلطات الفرنسية من الحوادث المنصرمة فتملأ الهوة

التى تسببت فى فتحها بما ارتكبته من أخطاء عملت بالعكس عـلى توسيعها ، فقد سارت تتوغل بخطى واسعة فى طريق الحكم المباشر •

فكان من الطبيعى والحالة هذه أن تصيح الوطنية المغربية وتستغيث •

كتلة العمل الوطنى :

هنالك تأسست كتلة العمل الوطنى تحت قيادة نخبة تخلص لبلادها فالتزمت القيام بواجب أولى وهى حملة من أجل تنوير الرأى العام الفرنسى حول الحالة بالمغرب والاعراب فى نفس الوقت عن حاجيات الشعب المغربى ومطامحـه ، فلهذا الغرض أحدثت بباريس باعانة شخصيات سياسية فرنسية مجلة « مغرب » وهى مجلة شهرية تهتم بالشؤون المغربية •

ثم صدرت بفاس جريدة أسبوعية باللغة الفرنسة هى « عمل الشعب » بعد آلاف العراقيل التى نصبتها لها السلطات الفرنسية •

والى جانب هذه الحملة الصحافية انكبت الكتلة على العمل فحررت برنامج اصلاحات فى « دفتر المطالب المغربية » قدمته فى أول ديسمبر سـنة ١٩٣٤ الى الحكومة الفرنسية بباريس وجلالة السلطان والاقامة العامة بالرباط وذلك كى لاتتهم بالمعارضة حبا فى المعارضة والتهريج العقيم •

ومن المفيد أن نرسم هنا الخطوط الكبرى لهذا البرنامج :

- تطبيق دقيق لمعاهدة ١٩١٢ والغاء كل حكم مباشر •
- الوحدة الادارية والقضائية فى المغرب كله •
- مشاركة المغاربة فى القبض على زمام السلطة فى مختلف فروع الادارة
- فصل السلطات المركزة فى يد الباشوات والقواد •
- احداث بلديات ومجالس محلية وغرف اقتصادية ومجلس وطنى يتكون من ممثلين مغاربة مسلمين واسرائيليين •

وقد تلقت كتلة العمل الوطنى عبارات التأييد من جميع أنحاء المغـرب ولم يكن نشاط هذه الكتلة مقصورا على المطالبة بتنفيذ هذه الاصلاحات بل امتد الى ميادين الاسعاف والتعليم ، من ذلك ما ظهر فى معظم مدن المغرب من مدارس قرآنية مجددة تنشر تعليما حديثا •

وأمام الصمت المطلق الذى لزمته الادارة الفرنسية من جهة وحالة البؤس

التي كانت تتخبط فيها طبقات الشعب المغربي من جهة أخرى قررت كتلة العمل الوطني عقد سلسلة من المؤتمرات في مختلف مدن المغرب ، وذلك قصد لفت نظر الادارة الفرنسية الى ضرورة التعجيل بتحقيق بعض الاصلاحات وقد انعقد المؤتمر الاول يوم ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٣٦ واتخذ قرارا طالب فيه بتطبيق عدد من « المطالب المستعجلة » تمس الحريات الديموقراطية والتعليم والعدلية والفلاحة والقوانين الاجتماعية والضرائب والصحة العمومية .

وقد فتح أنصار الجبهة الشعبية بفرنسا في انتخابات مايو ١٩٣٦ باب الامل في بزوغ عهد تفاهم وتعاون صريح فتوجهت الى باريس وفود لعرض وجهة نظر الكتلة على الحكومة الفرنسية الجديدة والمطالبة بتطبيق الاصلاحات الجوهرية .

وفي غضون ذلك عين الجنرال نوكيس مقيما عاما بالمغرب (١٦ سبتمبر سنة ١٩٣٦ فلم يتمكن الوفد المقيم بباريس من الاتصال بالحكومة الفرنسية .

وبعد مهرجان أقيم بالدار البيضاء يوم أول نوفمبر سنة ١٩٣٦ للمطالبة بحرية الصحافة قامت الادارة الفرنسية باعتقال زعماء الحركة الوطنية فنظمت بكبريات مدن المغرب في وقت واحد مظاهرات طالب فيها المتظاهرون باطلاق سراح المعتقلين السياسيين فأدى ذلك الى اعتقالات جديدة والى صدور عقوبات قاسية .

هنالك بلغت الازمة المغربية درجة من الخطورة اضطرت الجنرال نوكيس الى اتخاذ تدابير لتهدئة الناس فقرر اطلاق سراح المعتقلين ، وأذن بصدور أربع صحف باللغة العربية وصحيفتين باللغة الفرنسية (١٩٣٦) .

وقع اذ ذاك انشقاق داخل كتلة العمل الوطني حيث انفصل عنها أحد أعضائها وهو محمد الوزاني ليؤسس « حركة قومية » فواصلت الكتلة أعمالها وكشفت في جريدتي (الاطلس) العربية و (العمل الشعبي) ـ التي كانت تصدر بالفرنسية ـ أنواع الاستبداد المتولدة عن نظام الحماية وما فتئت تلجأ الى الادارة الفرنسية من أجل تحقيق تعاون خالص في دائرة السيادة المغربية وكامل المسئولية للبلاد تحت مراقبة وباعانة موظفين وفنيين فرنسيين .

ولم تقتصر كتلة العمل الوطني على الكفاح في الميدان السياسي فقد كان الواجب يقضي عليها أيضا بتثقيف جماهير الشعب وتوجيه المجتمع المغربي نحو

حياة عصرية فتم تنظيم دروس شعبية ومحاضرات فى المعاهد والمساجد من أجل نشر المبادىء الوطنية وكان علال الفاسى هو الذى يتزعم بحماس التهذيب الشعبى •

وقد أحرزت الكتلة نجاحا أقض مضاجع الادارة الفرنسية التى قررت حل الكتلة الوطنية يوم ١٨ مارس سنة ١٩٣٧ •

وكان هذا القرار فاتحة سلسلة من التدابير التى أدت الى ثورات دامية ، وقد عبرت الادارة الفرنسية اذ ذاك عن عزمها على رفض كل اقتراح يرمى الى التقارب والتفاهم وذهبت أدراج الرياح تلك الجهود التى كان يبذلها بفرنسا كل من الحاج أحمد بلافريج والحاج عمر بن عبد الجليل •

الحزب الوطنى :

وقد انعقد مؤتمر سرى بالرباط فى شهر أبريل سنة ١٩٣٧ فقرر تأسيس « الحزب الوطنى لتحقيق المطالب » وبضم جميع أعضاء كتلة العمل الوطنى •

فازدادت الادارة الفرنسية ارتياعا ازاء ما أحرزه هذا الحزب من نجاح ونفوذ •

وقد تكاثرت الحوادث ففى أول سبتمبر سنة ١٩٣٧ قام سكان مكناس بمظاهرة فى الشوارع ضد القرار الذى اتخذته الادارة لتحويل مياه بوفكران التى كانت تسقى المدينة نحو أراضى المستعمرين الفرنسيين وقد أطلق الجنود النار على المتظاهرين فمات أكثر من خمسة عشر شخصا وجرح نحو المائة ثم ألقى القبض على جماعات وفيرة من الناس •

فمنع صدور الصحف الوطنية « عمل الشعب » و « الاطلس » و « مغرب » ومنع كذلك انعقاد مؤتمر طلبة شمال أفريقيا الذى كان مقررا اجتماعه بالرباط يوم ١٥ سبتمبر •

واعتقل نحو الخمسين شخصا بمراكش بمناسبة مرور م • راماديى الذى كان اذ ذاك خليفة كاتب الدولة فى الاشغال العمومية بفرنسا لما تقدم اليه بعض المتظاهرين ليوضحوا له حالة البؤس التى كان عليها سكان الجنوب المغربى •

ووقعت أعمال قمع أخرى خلال شهر أكتوبر سنة ١٩٣٧ •

فقد وقع قمع سكان الخميسات « البرابر » يوم ٢٢ أكتوبر قمعا شديدا

لاحتجاجهم ضد السياسة البربرية •

وبعد ذلك ببضعة أيام أصدر الجنرال نوجيس أمره باعتقال زعماء الحزب الوطني وهم علال الفاسي ومحمد اليزيدي وعمر بن عبد الجليل واحمد مكوار •

فأثارت هذه التدابير رد فعل واسع مقلق في جميع المدن لا سيما منهاالقنيطرة وفاس والدار البيضاء والرباط وسلا ووجدة ومراكش حيث وقعت اصطدامات دامية أسفرت عن قتلى وجرحى •

فغصت السجون ومعسكرات الاعتقال بأفواج الوطنيين •

وقد تضامنت حركة الوزانيين من جهتها مع الحزب الوطني فجاء هذا الحادث بمثابة تفنيد للذين كانوا يستغلون هذا « الشقاق » •

وفي ثالث نوفمبر نقل علال الفاسي الى الكابون حيث بقي منفيا تسعة أعوام • أما الوزاني فقد أرغم على المقام الاجباري بجنوب المغرب ولم يعد الى فاس الا عام ١٩٤٦ •

ومع ذلك فقد بعث الحزب الوطني ليلة اعلان الحرب رغم كون عدد من أعضائه كانوا لا يزالون في المنفى وفدا الى الاقامة العامة يوم ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٩ لتأكيد تضامن المغرب مع فرنسا وعرض مساعدته أمام الخطر الداهم •

وقد وفى الحزب الوطني بكلمته طيلة الحرب فأصرحتى بعد النكبة الفرنسية عام ١٩٤٠ على عدم القيام بأي عمل من شأنه أن يحدث لفرنسا مشاكل •

حزب الاستقلال :

ولكن الاقامة العامة ظلت صارمة في سياستها المتشبثة بابقاء ما كان على ما كان ولم ينجم عن نزول الحلفاء وتحريرهم أفريقيا الشمالية من النفوذ الالماني ولا عن استقرار لجنة التحرير الفرنسية بالجزائر ولا عن عودة الجمهورية الفرنسية أي تعديل في هذا الوضع البائد الذي أقل ما يقال فيه انه لم يكن أقل فداحة من النظام الفاشستي •

وقد ظل الشعب المغربي محروما من جميع حريات القول والاجتماع ينوء تحت عبء الضرائب ويجرد بصورة فاحشة لفائدة العنصر الاوربي من حقوقه في جميع الميادين لا سيما في ميدان التموين حيث كان محروما من بعض المواد •

ولم يكن بالمدارس الرسمية من التلاميذ سوى ثلاثين ألفا من بين مليونين

من الاطفال المغاربة بلغوا سن الدراسة ، هذا بينما العدد الكافى من المدارس يؤسس لايواء جميع التلاميذ الاوربيين •

وكان الفلاحون يخضعون لنظام استبدادى وللاعمال الشاقة وعمليات الحجز بينما كان العمال محرومون من الحق النقابى يتحملون شغلا شاقا فى مقابل أجرة لا تسمن ولا تغنى من جوع وكانت النخبة المغربية مقصاة عن ادارة شؤون بلادها •

فكان من المحتوم والحالة هذه أن يحس الشعب بخيبة أمل عميقة مصحوبة بيأس فقد كانت تجربة إثنين وثلاثين عاما داخل الحماية تجربة حاسمة فرأى الشعب المغربى من حقه التعبير عن ارادته فى قطع صلاته بنظام بعيد عن تحقيق تطوره بل نظام لا يتردد أمام أية وسيلة تعرقل هذا التطور •

فالتضحيات التى تحملها المغرب طوال مدة الحرب قد خولته حق المطالبة باستعادة سيادته •

وفى هذا الوقت الذى كانت مصالح الشعب ألعوبة فى يد ادارة تتصرف حسب هواها قام حزب الاستقلال فضم :

١ ـ الحزب الوطنى السابق الذى كان ممثلا فيه المحترفون والعمال والتجار ومعظم النخبة المغربية •

٢ ـ رؤساء وأعضاء مكاتب جمعيات قدماء تلاميذ المدارس بفاس والرباط وسلا ومراكش وازرو ووجدة وآسفى ومكناس وكانت هذه الجمعيات تقوم بدور مهم فى توجيه الشبيبة المدرسية وكانت ممثلة رسميا أيضا فى « مجلس شورى الحكومة » •

٣ ـ شخصيات بارزة تنتمى للحركة القومية السابقة •

٤ ـ عدة شخصيات بارزة فى المجتمع المغربى كالمفتين وكبار الموظفين وأعضاء المحاكم وأساتذة القرويين وأساتذة معاهد التعليم الثانوى والابتدائى •

وقد قام حزب الاستقلال معززا بما كان له من نفوذ فى الشعب ـ بتقديم وثيقة يوم ١١ يناير سنة ١٩٤٤ الى جلالة السلطان وممثلى فرنسا ودول الحلفاء وقد احتوت هذه الوثيقة على ما يلى :

١ ـ الحماية نظام فرض بالقوة على الامة المغربية فى ظروف استثنائية كما تشهد بذلك المقاومة المسلحة التى قابل بها المغرب الاحتلال العسكرى والتى

استمرت من ١٩٠٧ الى ١٩٣٦ •

ب ـ وقع عمليا خرق هذه المعاهدة فى نصها وروحها من طرف نفس أولئك الذين التزموا باحترامها وبذلك لم يصبح للسيادة المغربية أى وجود •

ج ـ وقد طبقت الحماية بكيفية تضمن مصالح الجالية الاوربية وتؤخر وتعرقل تطور العنصر المغربى •

د ـ النص على مبدأ حقوق الشعوب فى حكم نفسها بنفسها فى مختلف تصريحات الدول الحليفة لا سيما منها ميثاق الاطلنطى وأخيرا مشاركة الجنود المغربية فى جميع واجهات القتال بالجبهة الغربية ـ كل ذلك يخول المغرب الحق فى أن يضمن لنفسه مستقبلا أحسن •

ولهذه الاسباب كلها عبر حزب الاستقلال عن ارادة الامة مطالبا :

١ ـ باستقلال المغرب ووحدة أراضيه •

٢ ـ باقرار نظام ديموقراطى « شبيه بنظام الحكم فى دول الشرق الاسلامية يضمن حق جميع عناصر المجتمع المغربى وطبقاته » •

ثم قررت بعد ذلك بعض المبادىء لتكون أساسا للنشاط الاجتماعى والسياسى والاقتصادى وهذه المبادىء هى :

١ ـ باستقلال المغرب ووحدة أراضيه •

٢ ـ الحريات بجميع مظاهرها •

٣ ـ اصلاح البلاد •

٤ ـ نظام ملكى دستورى •

٥ ـ التعاون الدولى •

وطيلة شهر يناير سنة ١٩٤٤ توالت الوفود من مختلف أنحاء المغرب على قصر جلالة السلطان حاملة عرائض التأييد مذيلة بمئات آلاف الامضاءات •

وما لبثت الادارة أن أجابت عن ذلك يوم ٢٩ يناير باعتقال الحاج أحمد بلافريج الامين العام لحزب الاستقلال بتهمة غريبة هى الاتصال بالعدو واعتقل كذلك محمد اليزيدى وقادة استقلاليون آخرون فكان لهذا النبأ وقع عنيف فى الشعب الذى اندهش لهذه الاعتقالات وقامت اذ ذاك مظاهرات عنيفة بفاس والرباط وسلا فتلقى الجند الامر باطلاق النار على الجماهير •

وقد أسفرت تلك المظاهرات عن مئات القتلى وعدد كبير من الجرحى

واعتقل أزيد من خمسة آلاف شخص في مختلف نواحي المغـــرب (فاس وجدة ـ الرباط ـ سلا ـ ازرو) وكابد الوطنيون أقسى أنواع التعذيب والحرمان في معسكرات الاعتقال الفرنسية •

وقد حكم بالاعدام على عدة وطنيين ونفذ الاعدام صبيحة عيد المولد الشريف كما حكم على عدة أفراد بالاشغال الشاقة الدائمة أو المؤقتـة وأقفلت المعاهـد الثـانوية الاسلامية وأجبر وزيران على تقديم استقالتهما ثم نفيا وأوقف عـدد كبير من الموظفين •

وعاش المغرب في عهد ارهاب طوال سنتي ١٩٤٤ و ١٩٤٥ •

وكان حزب الاستقلال يوالي نداءاته الى الحكومة الفرنســية والشعب الفرنسي لاقناعهما بحسن نيته وأنه لم يكن يريد الالقاء بالفرنسيين في عـرض البحر وانما كان يريد البحث معهم عن الوسيلة العملية لتعـويض نظام الحمـاية بمعاهدة تبرم بكامل الحرية وتضمن سيادة المغرب دون أي مساس بما للفرنسيين من مصالح مشروعة •

وفي عام ١٩٤٦ خيل للمغرب وقوع انفـراج في عـــلاقاته مع الادارة الفرنسية فقد قام السفير ايريك لابون الذي كان اذ ذاك مقيما عاما بالمغرب بعمل ودي ازاء حزب الاستقلال وذلك بتحرير الزعيم علال الفاسي والامـين العام بلافريج كذلك والوزاني •

نعم كان هنالك عدة وطنيين لا يزالون في غياهب السجون ولكن الحوار بدأ على كل حال ولم تدم المذكرات طويلا لان السفير لابون أظهر صرامة فيما يخص شكليات الحماية ولانه وضع سياسة اقتصادية جديدة تهدف الى توطيد سـيطرة رؤوس الاموال الفرنسية على خيرات البلاد المعدنية •

وفي يوم ٩ أبريل سنة ١٩٤٧ قام جلالة السلطان بزيارة رسـمية لطنجـة وشعرت الادارة الفرنسية بأن رحلة كهذه من شأنها أن تبرز وحـدة المغـرب بالرغم من الحدود الاصطناعية التي أحدثها الحاميان الفرنسي والاسباني •

وفي صباح يوم ٧ أبريل سنة ١٩٤٧ طرأ حادث بسيط في أحد أحيـــاء الدار البيضاء فوقع استغلاله للقيام بمجزرة من أجل عرقلة الرحلة الملكية ، ذلك أن جنودا سنغاليين مسلحين هجموا على المـارة المغاربة فقتلوا وجرحوا وفتكوا •

ويعتبر خطاب جلالة السلطان بطنجة حادثا بارزا في تاريخ الحماية السياسي

فقد حيى جلالة السلطان جامعة الدول العربية ونادى فى نفس الوقت بحقوق شعبه فى الحرية والسيادة .

هنالك ثارت ثائرة الصحافة الفرنسية فأنحت بالاقذاع فى حق المغرب بل فى شخص السلطان نفسه وطالبت باوضتاخه .

وبعد هذا الخطاب بشهر عين الجنرال جوان مكان ايريك لابون .

وسنرى ما قام به الجنرال جوان فى المغرب (من مايو سنة ١٩٤٧ الى سبتمبر سنة ١٩٥١) من أعمال فى الفصل المعنون بـ « الازمة المغربية » .

الازمة المغربية

لقد كانت مهمة الجنرال جوان تنفيذ برنامج خطير هو :

١ ـ **صد المغاربة قصرا وشعبا عن فكرة الاستقلال** وصرف نظرهم عن الشرق والجامعة العربية وتوجيهه نحو الوحدة الفرنسية كما صرح بذلك فى كثير من خطبه .

٢ ـ **الضغط على صاحب الجلالة** للحصول على عزل بعض كبار الموظفين وبعض القواد لادخال الرعب فى قلوب سائر الموظفين المغاربة وحمل الموالين منهم للقصر على الخضوع لسلطة المراقبة الفرنسية .

٣ ـ **محاولة نزع السلطة التشريعية** من يد صاحب الجلالة وتأسيس مجلس وزراء مختلط تحت رئاسة السكرتير الفرنسى للحماية ومعنى ذلك تأسيس حكومة من وزراء صوريين لا سلطة لهم ولا نفوذ ومن مديرين فرنسيين بيدهم مقاليد كل شىء .

٤ ـ **احداث سلك خلفاء للباشوات** بمختلف المدن يعينون من قبل الادارة الفرنسية مباشرة قصد تقوية حكمها المباشر وخنق حرية الاجتماعات وتقوية نظام التجسس والارهاب .

٥ ـ **محاولة تحويل نظام البلديات** القائم ليصبح للجالية الفرنسية بالمغرب حق الانتخاب وحق التقرير فى المجالس البلدية .

٦ ـ **محاولة تحويل المجلس** المدعو مجلس شورى الحكومة من مجلس مقيمى الى شبه مجلس نيابى يكون جميع أعضائه منتخبين نصفهم مغاربة ونصفهم فرنسيون .

وهناك مشاريع أخرى من هذا النوع كادماج الاذاعة المغربية فى الاذاعة الفرنسية وما الى ذلك .

٧ ـ **المناشير**

لما لاقى الجنرال جوان معارضة شديدة من لدن صاحب الجلالة فى جل هذه المشاريع عمدت الادارة الفرنسية الى أساليب دنيئة ترمى الى النيل من كرامة السلطان وهدم نفوذه فى النفوس بواسطة مناشير كلها قذف وبهتان ، وكانت

قضية مناشير المدير الفرنسي للداخلية فضيحة كبرى زادت في شقة الخلاف بين المغاربة والفرنسيين .

٨ ـ احياء الطرق الضالة

كما عمدت الادارة الفرنسية الى احياء الطرق (الصوفية) الضالة بعد اندثارها منذ زمان وتشجيعها للمشعوذين والدجالين والخرافيين الذين تقلص نفوذهم بانتشار روح الاصلاح الديني والحركة الوطنية وقصد الادارة الفرنسية من ذلك عرقلة ما يدعو اليه صاحب الجلالة من تعليم المرأة المغربية وتطهير الدين من الخرافات .

٩ ـ ادعاء السيادة المزدوجة

صرح الجنرال جوان لدى أكاديمية العلوم الاستعمارية بباريس في خطاب له بأن الحكم في المغرب بيد اثنين الملك من جهة والمقيم العام ممثل فرنسا من جهة أخرى ، ومعنى ذلك أن السيادة بالمغرب في نظره ملك مشاع بين الملك وفرنسا في حين أن السيادة المغربية جزء لا يتجزأ منصوصة بعهود دولية منها عقد الجزيرة سنة ١٩٠٧ ، وعقد الحماية نفسه .

١٠ ـ تسهيل هجرة الفرنسيين: والاموال الفرنسية الى المغرب لتكثير عدد الجالية الفرنسية والزيادة في الاستحواذ على الاقتصاد المغربي .

* * *

محادثات صاحب الجلالة في باريس أكتوبر سنة ١٩٥٠

بينما العلاقات بين القصر والاقامة العامة تزداد يوما بعد يوم تعقدا وشدة اذا بحكومة الجمهورية الفرنسية تستدعي صاحب الجلالة لزيارة ودية للديار الفرنسية فلم يلب صاحب الجلالة الدعوة الا على شرط عرض القضية المغربية بصفة رسمية على أنظار الحكومة الفرنسية والتفاوض معها في ايجاد حل مرض لهذه القضية كما اشترط أن لا يغادر المغرب الا بعد تعيين أعضاء ديوانه .

وأثناء مقام صاحب الجلالة بباريس قدم مذكرتين لحكومة فرنسا يطالب فيهما بالغاء عقد الحماية فكان جواب الحكومة الفرنسية المراوغة واقتراح تشكيل لجان مختلطة بالرباط لدرس اصلاحات جزئية في نطاق الحماية . هذه الحماية التي أجمعت الامة المغربية ملكا وشعبا على بغضها فأبى صاحب الجلالة الا أن يصدر

بلاغا قبل مغادرته فرنسا يصرح فيه بعدم حصول اتفاق بينه وبين الحكومة الفرنسية التى أبت الا أن ترضى الجالية الفرنسية بالمغرب التى ترعرعت فى ظل الحماية على حساب الشعب المغربى • ولما عاد جلالته الى المغرب استقبل من لدن شعبه استقبالا حماسيا تأييدا له على موافقه بفرنسا فهال الاستعمار أن يصبح المغرب شعبا وملكا يطالب بحقه فى الاستقلال ، وهنا بدأ الجنرال جوان يحيك مؤامرته التى أدت الى الازمة القائمة بالمغرب •

* * *

مؤامرة الجنرال جوان

وكان هدف هذه المؤامرة الضرب على يد دعاة الاستقلال وفى مقدمتهم صاحب الجلالة ورجال حزب الاستقلال وكل حركة وطنية والقضاء على روح المعارضة لدى رجال القصر الملكى وممثليهم فى مختلف النواحى حتى اذا ما تم للادارة الفرنسية القضاء على كل مقاومة أمكنها ـ وهى صاحبة اليد المطلقة ـ أن تشرع فى تنفيذ برنامجها •

تحضير المؤامرة واتخذ الجنرال جوان لذلك وسائل منها :

١) تعبئة الصحافة والاذاعة والسينما بالمغرب وفرنسا فقامت هذه الابواق بحملات عنيفة تزعم فيها التواطؤ بين صاحب الجلالة وحزب الاستقلال والشيوعية وتتهم صاحب الجلالة بتعرضه لكل اصلاح تقترحه الادارة الفرنسية لتطور البلاد كما تتهم حزب الاستقلال بنكران جميل فرنسا على المغرب وسبها وسب ممثليها واستعمال العنف والتفرقة بين عناصر الشعب •

فى حين أن من الثابت أن صاحب الجلالة لا يعترض على ادخال اصلاحات على بلاده وانما يطالب بدرس المشاريع التى تعرضها عليه الادارة الفرنسية ، ويرفض كل ما فيه ضرر على مصالح البلاد العليا وسيادتها •

ومما يجدر بالذكر أن جميع هذه الاراجيف التى كانت تروجها الدعاية الفرنسية بالمغرب وفرنسا مصدرها من مصلحة الاخبار بالاقامة العامة ومكتب المقيم العام بباريس فى حين أن الصحافة العربية بالمغرب تخنقها الرقابة الفرنسية خنقا وتمنعها حتى من حق الرد على تلك الاراجيف •

٢) تعبئة عناصر الرجعية بالبلاد من بعض أصحاب الطرق وبعض صنائع

الاستعمار وبعض الباشاوات والقواد الذين يريدون أن يحافظوا على مصالحهم وثروتهم التى نموها على حساب الشعب باستغلالهم ما لهم من اختصاصات ادارية وقضائية وجبائية أبت الادارة الفرنسية الا أن تتركها بأيديهم لأنهم من صنائعها ولانها تجد فيهم خير مساعدين لتنفيذ خطتها • وأعظم مثال لذلك ما قام به الجلاوى «*» باشا مراكش أحد المسخرين فى هذه المؤامرة

٣) تعبئة البوليس والجند والبوسوسية لمحاصرة أبواب القصر وأبواب المدن والاحياء الاهلية وذلك للحيلولة دون كل مظاهرة أو حركة احتجاج وتذمر وقطع كل صلة بين صاحب الجلالة وأفراد شعبه •

٤) ضرب نطاق الحصار على البلاد بأجمعها وعدم السماح لاى مغربى بمغادرة البلاد وسحب رخص السفر للخارج لمن كانت بيدهم •

وبعد ما أخذ الجنرال جوان جميع عدته للقيام بهذه المؤامرة كما ذكرنا شرع فى تنفيذها فانتهز حادثة الباشا الجلاوى لمحاربة صاحب الجلالة وحادثة مجلس الشورى لمحاربة حزب الاستقلال •

١) حادثة الباشا الجلاوى ان هذه الحادثة بسيطة فى حد ذاتها لا تخرج عن نطاق زجر رئيس لمرؤوسه ولكن مكتب الاستخبارات بالاقامة العامة نشر رواية لما ادعاه بالنزاع الواقع بين صاحب الجلالة والجلاوى فذكر أن الجلاوى ندد بحزب الاستقلال وأساليبه وادعى تواطؤه مع الحزب الشيوعى وانحراف أعضائه عن تعاليم الاسلام والتقاليد المغربية وعاب على صاحب الجلالة موقفه منه

(*) سئل صحافى من مجلة « كانزين » شارل داركون النائب بالمجلس الوطنى عن شخصية الجلاوى فقال، كثيرا ما يلتبس الامر على الناس فبينما يرجع لمكانة الباشوات والدور الذى يقومون به فالناس يحسبونهم من أولئك الاقطاعيين الذين يملكون سلطة موروثة فى حين أن الادارة الفرنسية هى التى تعين أولئك الباشوات كلهم بدون استثناء الجلاوى الذى هو أقدمهم والذى هو صنيعتنا منذ فجر الاحتلال ومنذ ذاك ونحن نغنيه ثم زدنا عائلته شهرة بتعييننا أبناءه قوادا وسهلنا عليه ارتكاب مظالمه والكل يعرف المصدر المزرى لثروته ولم نكن فى هذا العمل متساهلين فحسب بل كنا مشاركين فى الجرائم التى يرتكبها ولا زلنا كذلك فالاقطاعية فى المغرب لم تكن شيئا واقعيا ليس لفرنسا الاحق الاسف له بل هو واقعى من عمل فرنسا الرسمى الذى تعمل على ازدهاره وتسييره حسب أهوائها السياسية •

وراحت الصحافة الفرنسية تنسج على هذا المنوال وتظهر باشا مراكش في صورة المدافع عن الاسلام وتحليه بمزايا ليس له منها شيء فصدر البلاغ الآتي من لدن الصدر الاعظم (رئيس الحكومة المغربية) :

بيان حقيقة من الصدارة العظمى

• أذاعت بعض الصحف رواية خاطئة عن الاسباب التي دعت صاحب الجلالة أيده الله الى مؤاخذة باشا مراكش يوم حضوره بالقصر العامر بمناسبة عيد المولد النبوي الاخير •

ان الحادث الذي بالغت الصحافة في عرضه ووصفه بخلاف بين صاحب الجلالة والباشا المذكور ليست له أية صبغة سياسية والواقع أن الامر لا يعدو عتابا موليا موجها الى أحد ولاته •

وغير صحيح أن المساعي التي قام بها باشا مراكش لدى صاحب الجلالة كانت ترمي حسب زعم تلك الصحافة الى اطلاع جنابه الشريف على ما يساور دوائر متمسكة بالمبادىء الدينية والتقاليد من قلق مزعوم ، تلك الدوائر التي لا صفة لباشا تخوله الكلام بالنيابة عنها والاعراب عن آرائها ، وانما كانت تهدف تلك المساعي الى حرمان سكان عمالته من حق رفع ظلاماتهم الى القصر العامر وذلك بعدم قبول وفودهم بالاعتاب الشريفة وبصرفهم عنها وترك أمرهم موكلا اليه وقد أعرب الباشا علاوة على هذا عن استيائه من الحملات الموجهة اليه من لدن الاحزاب السياسية وبعض الصحف الفرنسية •

فلفت صاحب الجلالة نصره الله نظره الى أنه لا يمكن بوجه من الوجوه أن تحرم طائفة من رعاياه مما جرت به العادة من السماح لهم برفع مظالمهم الى جنابه العالي بالله وان هناك محاكم جزرية لعقاب ما عسى أن ينال شخص الباشا وغيره من ولاة المخزن الشريف من أنواع القذف •

ولما تمادى الباشا على المطالبة بما طالب به من غير تبصر وأكد شكواه بعبارة لا تخلو من وقاحة أمره صاحب الجلالة بالانصراف وأبلغ اليه بواسطة وزيره الصدر الاعظم أن لا يعود الى القصر الملكي حتى يصدر له الامر بذلك •

وبهذه المناسبة تعيد الصدارة العظمى الى الاذهان أن صاحب الجلالة لم يحد عن الخطة التي رسمها لنفسه بالسير بالبلاد نحو مصيرها المجيد غير متأثر بأي

تأثير حزب من الاحزاب وفى نطاق العدالة واحترام المبادىء الاسلامية والتقاليد الصحيحة المرعية التى اضطلع بحراستها والذود عنهـا ولا يغيـبن عن أذهان الباشوات والقواد الذين ليسوا سوى ممثلى صاحب الجلالة ان الواجب يقضى عليهم بخدمة الصالح العام اقتداء بعاهل البلاد •

٢٥ ربيع الاول عام ١٣٧٠ موافق ٤ يناير سنة ١٩٥١ »

٢) حادثة مجلس الشورى وخلال دورة عادية بمجلس المقيم المدعو بمجلس

شورى الحكومة أثبت بعض المقررين الذين ينتمون لحزب الاسـتقلال ما فى توزيع الميزانية المغربية من حيف لفائدة الجالية الاجنبية مرتكزين فى تقاريرهم على الارقام والمستندات التى استقوها من الادارة الفرنسية نفسها فقال السيد أحمد اليزيدى المقرر العام للميزانية ورئيس جامعة الغرف المغـربية للتجارة والصناعة فى تقريره ما يأتى :

« فالميزانية فى بلاد تحكم نفسها بنفسها حسب نظم ديموقراطية تكون معبرة عن ارادة الامة ومرآة للمسائل التى تهم الدولة وللجهود التى تبذلها فى تحقيق حاجيات الشعب الاكيدة •

«وأهم ميزة للميزانية المغربية هو أنها تعبر قبل كل شىء تعبـيرا واضـحا مدعما بالارقام عن سياسة الحماية » •

وختم المقرر تقريره قائلا :

« وقد يكون خيانة منا للثقة التى وضعها فينا منتخبونا ان لم نقل ان الميزانية كما تضعها الادارة وتنفذها عاجزة عن رفع مستوى الشعب المغربى ونحن لا نتوجه بانتقاداتنا الى الاخصائيين الذين وضعوا هذه الميزانية ولكن الى السياسة التى هم مضطرون الى الخضوع لها •

« فاتهامنا اذن موجه الى نظام الحماية بأجمعه » •

وقال بعد ذلك السيد محمد الاغزاوى المقرر لميزانية الاشغال العموميـة فى تقريره : « من الثابت أن الجالية الاوربية التى تزداد يوما فيوما سـيطرتها عـلى مقاليد الاقتصاد المغربى هى التى تستفيد مباشرة أكبر الاستفادة من هـذا الجهاز الاقتصادى المؤلف من الموانىء والطرق والسكك الحديدية والسدد ـ الخزانات ـ الى غير ذلك • أما المغاربة فهم يستفيدون كذلك من هذا الجهاز ولكنها استفادة

ثانوية ضئيلة » .

فعمد الجنرال جوان الى طرد السيد الاغزاوى رئيس الغرفة المغربية للتجارة والصناعة بفاس لاجل ما صرح به من حقائق فانسحب تضامنا معه رئيس جامعة الغرف التجارية والصناعية السيد احمد اليزيدى وجل الاعضاء المنتخبين وقامت قيامة الادارة الفرنسية اثر ذلك ووجهت حملة شعواء ضد حزب الاستقلال لكى تنال من سمعته ونفوذه أمام الجمهور المغربى وتحمل صاحب الجلالة على التبرؤ منه علانية .

٣) تهديد الجنرال جوان لصاحب الجلالة ـ وبينما هذه الاستعدادات ووسائل الارهاب قائمة على قدم وساق اذا بالجنرال جوان يقابل صاحب الجلالة تلك المقابلة التاريخية يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥١ قبل سفره الى أمريكا رفقة رئيس الحكومة الفرنسية .

واشتملت مطالب الجنرال جوان على ما يلى :

أولا ـ التبرؤ من حزب الاستقلال .

ثانيا ـ طرد أعضاء الديوان الملكى وبعض كبار الموظفين .

فاعتبر صاحب الجلالة انه بصفته ملكا للبلاد يريد أن يبقى فوق الاحزاب أما طرد الموظفين فلا يرى له مبررا .

وعند ذلك أنذره الجنرال جوان قائلا : « اما أن تنفذوا طلباتى واما أن تتنازلوا عن العرش والا فسأخلعكم تطبيقا لاوامر حكومتى وها أنا ذاهب الى أمريكا وفى وسعكم أن تفكروا فى الامر » .

وبعد هذه المقابلة وقع تطويق أبواب القصر بالشرطة بينما كلفت الادارة الفرنسية الجلاوى بحمل رؤساء القبائل على قبول خلع الجنرال جوان لصاحب الجلالة .

وما لبث الشعب المغربى أن سمع بالتهديد الواقع على شخص صاحب الجلالة لان الصحافة الفرنسية أخذت تصرح باحتمال تنازل جلالته فسارع علماء فاس مؤيدين من علماء المغرب كله حواضره وبواديه الى تجديد بيعتهم لصاحب الجلالة محمد الخامس فى عريضة قدمها وفد خاص لصاحب الجلالة وقد استنكروا فيها موقف الجلاوى وأتباعه ونفوا عنه كل صبغة تخوله نصب نفسه للدفاع

عن الدين .

وقام حزب الاستقلال من جهته يستصرخ بدول العالم فكان لذلك من الاثر بالعالم الاسلامى كله ما حمل الجامعة العربية على التدخل فى الامر وصرح معالى عبد الرحمن عزام باشا الامين العام للجامعة العربية معلنا تأييد الجامعة العربية لمطالب الشعب المغربى ومنددا بالاستعمار الفرنسى ومناوراته .

وفى ١٢ فبراير بعد ما عاد الجنرال جوان من أمريكا تقابل مرة أخرى مع صاحب الجلالة وعرف بعد أنه جدد له طلباته المذكورة .

وفى الغد عقد صاحب الجلالة مجلسا وزاريا أضاف اليه أفرادا من علماء الدين لدرس مشروع الاقامة وبعدما تداول المجلس الوزارى أجمع أعضاؤه على أن لاموجب للتبرؤ من طائفة معينة من رعايا صاحب الجلالة ثم توجهت الهيئة الوزارية عند الجنرال جوان لتبلغه مشافهة ما قررته ، فعامل الجنرال جوان أعضاء الهيئة بما لا يليق بمقامهم وكرامتهم وخاطبهم قائلا : «ان لم تنفذوا ارادتى فان القبائل البربرية ستنقض على أهل المدن بالذبح والسلب والنهب وحينئذ تأتون الى وتطلبون منى أن أحميكم ولن أغيثكم » .

فثبت الوزراء على موقفهم . وفى يوم ٢٢ فبراير قرر الجنرال جوان قطع العلاقات الرسمية مع القصر فاذ ذاك طلب صاحب الجلالة من الحكومة الفرنسية تحكيمها .

٤) بروتوكول ٢٥ فبراير سنة ١٩٥١ ـ وأعلنت الصحافة الفرنسية نبأ

قطع العلاقات فى مقالات بارزة وزاد فى توتر الجو ما أمرت به سلطات المراقبة الفرنسية فرسانا من القبائل من قصد فاس والرباط والنزول بأرباضهما دون أن تبين لهم السبب الحقيقى لهذه الحركة بل قالت لفريق منهم انهم ذاهبون لحضور حفلة لدى صاحب الجلالة ولفريق انهم ذاهبون لحفلة استقبال مقيم جديد ولفريق انهم ذاهبون لحفلة وزير من وزراء فرنسا ولفريق انهم ذاهبون لحفلة استقبال وزير أمريكى فانخدع الفرسان لذلك لانهم معتادون أن يسخروا فى جميع الحفلات الرسمية بينما أخذت الصحافة الفرنسية تضلل الرأى العام فى الخارج مدعية أن القبائل الهائجة وسكان الجبال المسلحين متوجهون للهجوم على الاهالى من سكان المدن وان الادارة الفرنسية اتخذت الاحتياط فأرسلت بعض جيشها

لحماية الحواضر وكان القصر الملكي ومقر ولى عهد المملكة المغربية محاطين بالجيوش الفرنسية بدعوى حماية العائلة الملكية •

في هذا الجو المرعب توجه م • دوبلصون الى القصر الملكي يوم الاحد ٢٥ فبراير وسلم لصاحب الجلالة رسالة رئيس الجمهورية تأكد أن فيها تأييد الحكومة الفرنسية للجنرال جوان ودعوة لصاحب الجلالة الى الاذعان •

وعند الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم أرسل الجنرال جوان لصاحب الجلالة نص بروتوكول مع انذار شفوى بأنه ان لم يوقعه صاحب الجلالة في ظرف ساعتين فيجب على جلالته أن لا يعتبر نفسه ملكا على البلاد •

ويحتوى البروتوكول المذكور على النقط الآتية :

١) اصدار بلاغ ملكي وبلاغ وزارى لاستنكار أساليب ما عبر عنه بحزب من الاحزاب •

٢) طرد أعضاء الديوان وبعض كبار موظفي المخزن ومدير جامعة القرويين •

٣) تعديل الهيئة الوزارية بعزل وزراء ومندوبين •

٤) عزل بعض القواد وتعيين آخرين عوضهم فرضتهم الادارة •

ولا ذنب لاولئك كلهم الا وقوفهم الى جانب صاحب الجلالة لما قرر خلعه ان تمادى في مقاومته كما صرح بذلك ديسانج في مجلة الاوبسرفاتور بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٩٥١ •

٥) التوقيع على المراسيم التشريعية التي كان الخلاف قائما في شأنها بين القصر والادارة الفرنسية ومن الغريب أنه بمجرد ما وقع الحصول على توقيع صاحب الجلالة أمرت الادارة الفرنسية فرسان القبائل بالرجوع الى منازلهم •

أما بفاس فقد أبت الادارة الفرنسية الا أن تقوم بتمثيل فصل آخر من الرواية وذلك بأن أمرت فرسان القبائل بشق شوارع المدينة حاملين رايات فرنسية كأنهم متظاهرون ونصبت الادارة في الاحياء الاوربية أبواقا نادت بها على الاوربيين ليخرجوا لمشاهدة القبائل يتظاهرون عفوا ضد الاستقلال ويعلنون ولاءهم واخلاصهم لفرنسا • وقد أخذت صور لذلك وشرائط سينمائية عرضت بقاعات السينما للتأثير على الجمهور •

والى القارىء ما كتبه أحد الفرنسيين بالمغرب في هذا الصدد :

« رفيقى العزيز :

« أكتب لك وقلبى مفعم حزنا وألما • ان ما شاهدته اليوم لبشيع حقا ، وليس السبب فى ذلك الخلاف الخطير الذى بين القصر والاقامة العامة ، بل السبب هو الاساليب المستعملة لتضليل الرأى العام • وانى بصفتى فرنسيا ودمقراطيا لا يمكننى أن أحبذ مثل هذه الاساليب • لقد شاب قرنى فى السياسة فأصبحت أميز ما بين العواطف النبيلة والاساليب التى يجب استعمالها للوصول الى اقناع الناس فى شأن وجهة نظر بسيط وقد بين لنا سارتر ان طرق الحرية ملتوية محفوفة بالاخطار •

« ومع ذلك فان بيرتون تنبأ فى مقاله الافتتاحى الذى تجده بصحبة خطابى بأن هذا اليوم (الاثنين) سوف يكون يوم نحس •

« ان الانسان يعجزه الادراك عند ما يشاهد أن ما يقرب من ١٠٠٠٠ فارس صدوا عن عملهم الفلاحى وجىء بهم الى فاس بدعوى أن بها حفلة عظمى وتركوا قائمين أمس اليوم خارج أبواب المدينة غطاؤهم السماء ثم أحيطوا برجال الشرطة واستعرضوا بشوارع المدينة لاثارة الفزع فى قلوب السكان •

« كيف يمكن لفرنسا ـ سيدتنا فرنسا كما يقول دوكول ـ فرنسا التى قامت بثورة سنة ١٧٨٩ أن ترذل فترتكب مثل هذه الاساليب •

« فمن المقصود بهذه الخديعة وأى هدف يرمى اليه ؟ أى معنى لهذه المظاهرات المدبرة التى تقذى العيون ؟ أهذا هو تطبيق معاهدة الحماية المؤرخة فى ٣٠ مارس سنة ١٩١٢ التى ينص فصلها على تأييد جلالة السلطان ضد كل خطر يمكن أن يهدد سلامة مملكته ؟ انهم ينشرون البغضاء فى قلوب البدو ضد سكان المدن الى حد أن الناس بدكالة أحرقوا دار رجل غير موال للادارة وبعد هذا كله يصيح الراديو بأن جنود القوم يحرسون قصر السلطان من المتظاهرين الذين ربما يقصدونه فما المقصود من عملنا هذا ؟ أليس لنا وزراء اشتراكيون ؟ ان الانسان ليتمنى أن لو كان يحكمنا قوم رجعيون فنستطيع على الاقل أن نفهم حقيقة الامر

« أيزعمون أن هذه البلاد غير قادرة على حكم نفسها بنفسها فكيف استطاعت اذن أن تتكتل ضد مالا يلائمها • وبما أن كل مأساة لا تخلو من فكاهة فان بعض أولئك الفرسان على ما يقال كانوا يخشون أن يوجهوا الى القتال بالهند الصينية •

« وعلى كل فان شوارع المدينة أثناء المظاهرات كانت تقريبا خالية من السكان

يسودها سكون عميق » .

وعلم من بعد أنه خلال يوم ٢٥ فبراير أعدت طائرة لنقل صاحب الجلالة وعائلته خارج المغرب ان أصر على الامتناع من التوقيع كما أنه كان من المقرر أن يتوجه الجلاوى وأصحابه المسلحون على يد الاقامة العامة الى فاس لاكراه علمائها على مبايعة سيدى محمد بن عرفة العلوى .

ويوم ٢٦ فبراير أذاعت الاذاعة الفرنسية أن اتفاقا (هكذا) وقع بين صاحب الجلالة والجنرال جوان وان الازمة انتهت فأمرت الادارة الفرنسية بتزيين جميع المدن بالرايات الفرنسية وبالغت فى اذاعة تصريحى صاحب الجلالة والصدر الاعظم وصارت تجمع الناس فى المدن والبوادى وتطلب منهم أن يوقعوا على عرائض الولاء لفرنسا والعداوة لحزب الاستقلال وبلغت المغالطة والوسائل الخسيسة بالادارة الى أقصى حد فمن ذلك أنها عمدت بقرية السخيرات الى العاطلين وطلبت منهم أن يقيدوا أسماءهم فى لوائح ادعت انها لوائح من سيبحث لهم عن عمل ولم تلبث أن أصبحت تلك اللوائح « عرائض ولاء » وكذلك بسطات وغيرها من الجهات فان السلطة طوقت الناس الموجودين فى السوق الاسبوعى بينما صعد الباشا ليعلق على تصريح الملك وذلك لتستطيع شركة السياسة الفرنسية تسجيل أشرطة تدعى أنها تمثل المظاهرات التى قام بها عفوا البدو ضد حزب الاستقلال . أما بقبيلة الرحامنة فان الادارة اقتصرت على نسخ قوائم الذين يؤدون الضرائب وما أطولها . وفى ناحية فاس اكتفى قائد قبيلة بوضع أصبعه عن عدد الافراد الذين كلف جمعهم لهذا الصدد .

وننصت الآن الى شهادة مسيو بير باران الذى كان نائبا فيما قبل عن فرنسى المغرب بالمجلس التأسيسى الفرنسى وقد نشرتها مجلة الاوبسرفاتور :

« رسالة موجهة من فرنسى يقطن بالمغرب الى السيدين م. روس و ك. بوردى بتاريخ ٢٧ فبراير سنة ١٩٥١ » انى والاسى يملأ قلبى أكتب لكما هذه الرسالة لاصف لكما القاذورات التى نعيش فيها هنا .

« فلا شك أنكما سمعتما بالمظاهرات التى تسارعت القبائل من تلقاء أنفسها الى القيام بها قصد اظهار ولائها لفرنسا وسأدلى لكما بتحقيقات تيسر لكما معرفة الحقيقة ولن أحدثكما طبعا الا عن الناحية التى أقطن بها وأنتما تعلمان أن مايجرى بناحيتى يجرى مثله بالنواحى الاخرى .

ولنبدأ بحادث له مغزاه فقد نشرت الصحف الفرنسية الثلاث التى تصدر فى البيضاء بتاريخ ٢٦ فبراير سنة ١٩٥١ الخبر القصير الآتى ذكره وهو وارد بنص واحد فى جميعها فليس اذن هذا الخبر اختلاقا من صحفيين فقدوا رشدهم بل هو صادر عن مصدر رسمى وقد وزع على جميع الصحف واليكمانص الخبر:

« بلغنا فى هذا الصباح أن بيتا يسكنه وطنى قد اشتعلت فيه النار بالقرب من البير الجديد ليلة ٢٥ فبراير » .

« فى حين أنى أسكن البئر الجديد وأسعى منذ نحو ٤٨ ساعة للحصول على تدقيقات ولم أتمكن بعد لغاية مساء اليوم ٢٧ فبراير من العثور على الدار المحروقة ولا يدرى ساكن فى القرية شيئا عن هذا الامر .

« انه أمر جد غريب أليس كذلك ؟

« لكن صحف اليوم ٢٧ فبراير تخبرنا أن « كثيرا من الفلاحين شخصوا الى أزمور عند الزوال وقد انضم اليهم صناع وتجار من المدينة وبعض قدماء المحاربين المغاربة فقصدوا ضريح مولاى بوشعيب الذى أعلنت زاويته عزمها على الانضمام الى الحركة ولهذه الزاوية نفوذ كبير فى تلك الناحية وقد كان موقفها صريحا ضد حزب الاستقلال ثم قصد الموكب سعادة الباشا فمشى فى طليعته واجتمع الكل أمام مركز المراقبة المدنية لتقديم عريضتهم .

« واليكما الرواية الرسمية سأقول لكما ما حدث فى الواقع .

« فى عشية ٢٥ فبراير طاف المكلف على الناس فى البئر الجديد ليعلمهم بأنه يتعين عليهم أن يذهبوا فى الغد الى أزمور فى الساعة ٨ وأشار الى أن من يتخلف منهم عن الذهاب الى الدعوة يندم ولم يستطع أو لم يرد ذكر موجب هذه الدعوة فظن كثير من المغاربة انه للتلقيح ضد السل .

« وبالطبع ذهب فى الغد عدد كبير من الاهالى الى أزمور وكثير منهم ركبوا فى سيارات غير مأذون لها بنقل المسافرين لكن رجال الشرطة كانوا متعامين فى ذلك اليوم عن مثل هذه المخالفة .

« وعند وصولهم الى أزمور تم تصفيفهم رباعا أو خماسا وطيف بهم عدة مرات فى أزقة المدينة ليشاهدهم سكانها .

« وكدت أنسى أن أقول أن كثيرا منهم عند مرورهم بسوق الاثنين ـ أى فى منتصف الطريق من البئر الجديد الى أزمور ـ أتيح لهم أن يروا أعوانا يرغمون

الناس بدون رفق على ترك بضائعهم فى حراسة بعضهم والانضمام الى المسافرين

« وعند الزوال كان هؤلاء الناس المساكين لا يزالون فى أزمور بعد مرورهم فى موكب ماكثين فى موضعهم من دون أن يعرفوا بعد لماذا وقع استدعاؤهم فطلبوا أن يسمح لهم بالذهاب لتناول الغداء فلم يسمح لهم به وأبادر الى القول بأنهم انتظروا حتى الساعة الخامسة ظهرا قبل أن يتمكنوا من تناول الطعام •

« وخلال مقامهم بأزمور وجه اليهم خطاب صغير لم يشتمل على قذف والحق يقال ولم يخرج عن المألوف من عبارات الدعاية العادية مذكرا اياهم بكل ما يدينون به لفرنسا آمرا اياهم بعدم الانصياع الى نصحاء السوء وبالوشاية بهم ثم سمح لهم بالرجوع الى حال سبيلهم •

« وبديهى أن جميع هؤلاء المساكين قد أضاعوا عمل يومهم وتحملوا مصروفات السفر •

« فأنتما تريان أن رواية الصحف لا تبتعد فى الجملة عن الحقيقة بأكثر من ٩٠ فى المائة ولكن هل بلغ الامر بالعصابة التى ترهق المغرب فى الساعة الراهنة الى أن تستخف بالشعب الفرنسى كل هذا الاستخفاف فتلفق له هذه الخزعبلات المدهشة التى تقرأها فى الصحف الصادرة هنا وبفرنسا •

« هل المغرب يا ترى بلاد ينعدم فيها الامن بحيث يستطيع الطائشون إحراق الدور ؟ هل المغرب يستعصى زمامه على الايدى بحيث يستطيع آلاف الفرسان المجىء الى فاس والى قصر السلطان بالرباط وهو الذى يبدو أن من الواجب حمايته وتعجز السلطة عن منع كل هذا ؟ ان هذا هو الشىء الخطير والخطير جدا أن الميكافيليين الذين يتخبطون فى أكاذيبهم لا يفطنون من خلال نواياهم السيئة الى أنهم يعطون أسلحة ضدهم •

« وهل يظنون حقا أن سكان هذه البلاد النزهاء سيمكثون من دون أن يحتجوا على تزييف الحقيقة •• ؟

« أما أنا فانى عاجز عن ذلك وينبغى أن أقول أنى طيلة الـ ٣٥ سنة التى قضيتها فى المغرب وخصوصا منذ ابتداء ديكتاتورية الجنرال جوان قد شاهدت فى هذه البلاد عدة أشياء غير صالحة ولكنى كنت ما أزال ساذجا ولم أكن أعتقد أنه فى الامكان الانغماس الى هذا الحد فى الكذب والضعة •

«أواه ثم أواه هلا يتأتى للمغرب يوما التخلص من هذه العصابة الشريرة

التى ستفضى به الى بغض فرنسا » .

وزيادة على هذه الحركة التى نظمتها الادارة للتظاهر ضد الملك وحزب الاستقلال فانها سلطت على البلاد كلها موجة من الارهاب والقمع وكانت اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال أول ضحية وذكرت مجلة الاوبسير فاتور فى عددها المؤرخ فى ٢٠ مارس سنة ١٩٥١ رغم ما تدعيه الاقامة العامة فان عدد أعضاء حزب الاستقلال المعتقلين يمكن أن يقدر بنحو الالفين وقد حكم عليهم بالسجن بتلك التهم المعروفة كعقد اجتماع بغير اذن أو تحرير منشورات وما الى ذلك .

وان عدد الاعتقالات منذ ذلك التاريخ لا يزال فى ازدياد .

ولم يلبث الناس فى البوادى وخصوصا فى الاطلس أن تنبهوا للحيلة التى انطلت عليهم فقاموا بمظاهرات احتجاج من ذلك أن عشرات الآلاف من البدو توالوا على مراكز القواد ورجال المراقبة الفرنسية بأغبلو وتيسلوين والقصيبة وتادلة والقباب وغيرها منادين « خدعتمونا فلسنا أعداء لحزب الاستقلال وان ملكنا المحبوب هو صاحب الجلالة ، ونشبت مشاجرات عنيفة بين المتظاهرين وبين القواد وأعوانهم وكان المتظاهرون يطالبون بعزلهم فلم تستطع الادارة أن تتمادى فى ستر هذه الحوادث وأخذت تنشر ادعاءات كاذبة منها وقوع فتن بين القبائل ومعارك بالقصيبة وتلوين والقباب وغيرها فكيف ياترى نشبت هذه المعارك وانتشرت فى نواح مختلفة فى آن واحد وذلك فى الوقت نفسه الذى كانت تدعى فيه الادارة الفرنسية أن القبائل البربرية تقدم عبارات ولائها لفرنسا بدون شرط ولا قيد ، لكن مسيو چيجر المحرر المشهور بوكالة الانباء الفرنسية تنبه الى أنه لا يمكن التمادى فى تضليل الرأى الفرنسى ، وذكر فى جريدة الموند بتاريخ ٣ أبريل سنة ١٩٥١ : « اننا نرى اليوم مظهرا جديدا للازمة المغربية مباينا لما سبق اذ بلغنا أن جماعات من الاهالى يجتمعون فى هدوء ببعض القرى على تخوم النواحى البربرية فى جنوب مكناس ويقضون ساعات طوالا بدون أن يحدثوا جلبة ولا تظاهرا أمام مراكز المراقبات المدنية وقد بدأت هذه المظاهرات فى أواسط الاسبوع المنصرم ومن السهل أن تدرك المحرك لهذه المظاهرات واذا ما سئل هؤلاء الناس عن مقصودهم اكتفوا بقولهم انهم يطالبون بعزل قوادهم الذين تجاهروا بالعداء للسلطان وكل ذلك كان يجرى فى هدوء وأدب فلا تستطيع الادارة الفرنسية زجرهم »

هذا قول م • جيجير أما الاقامة العامة فانها قابلت هذه المظاهرات السلمية بقمع عسكرى عنيف فثارت ثائرة العالم العربى والاسلامى وتوارد على المغرب عدة • ـحفيين من ـختلف جهات العالم للقيام بالتحقيق فى شأن هذه الحوادث ، غير أن الصحافيين المصريين منعوا من الدخول للمغرب وكان الدكتور محمود عزمى استطاع من قبل الدخول فأمكنه أن يسمع من جلالة الملك مباشرة شرح الظروف التى أدت به الى توقيع بروتوكول فبراير سنة ١٩٥١ اذ قال نصره الله: « اننا وقعنا تحت التهديد وكان توقيعنا اجتنابا لما كان يتوقع من عواقب سيئة تحل بشعبنا » •

ان الازمة المغربية لا تزال مستمرة وقد وجهت الدول العربية من فبراير الى أكتوبر سنة ١٩٥١ نداءات متوالية لفرنسا قصد تصفية الخلاف الفرنسى المغربى بكيفية حبية دون أن يكون صدى لتلك النداءات اذ رفضت الحكومة الفرنسية كل تلك المحاولات الودية لانها لايهمها الا المحافظة على نظام استعمارى بائد يمجه الضمير العالمى •

نعم لقد حاولت ايهام الناس بحدوث تحسين فى علاقاتها مع المغاربةفأبدلت المقيم العام الجنرال جوان بالجنرال كيوم غير أن التصريحات الاولى التى فاه بها الجنرال كيوم بالمغرب تدل على أن فرنسا أبدلت مقيما بمقيم ولكنها لم تبدل سياستها •

وجهة الاستعمار فى الظروف الراهنة

انتهـــاء عهـــد الامبراطورية الاستعمارية

شاهدنا على اثر الحرب العالمية الثانية تغييرا سريعا عميقا فى خريطة العالم • فالامبراطوريات الاستعمارية التى كانت مفخرة ومصدر أرباح الدول الكبرى المستعمرة انهارت أشد انهيار أو تفككت تدريجيا تحت ضغط جبار من الشعوب المجاهدة فى سبيل تحريرها واستقلالها الوطنى •

وان الميثاق الاطلسى الذى صدر فى أغسطس من سنة ١٩٤١ والذى وقعت عليه كبريات الدول الاستعمارية ـ ليحتوى على المبدأ الصريح فى تغيير وضعية الامبراطوريات الاستعمارية ذلك التغيير الذى يتم الآن أمام أنظارنا •

فالفصل الثالث من الميثاق المذكور ينص على أن الدول الموقعة عليه « تحترم حق جميع الشعوب فى اختيار شكل الحكم التى تريد أن تعيش فيه وهى تتمنى أن ترى عودة حقوق السيادة والحكم الذاتى الى الامم التى جردت منها بالقوة •• »

ومنذ شهر مارس سنة ١٩٤٢ وتطبيقا لهذا المبدأ وعدت الهند بالاستقلال من طرف الانجليز الذين اضطروا الى أن يؤكدوا من جديد عام ١٩٤٣ عزمهم على اقرار « حكومات مسئولة » فى سائر الكومنويلث (جامعة الشعوب البريطانية) وقد صدر نفس الوعد من الولايات المتحدة لحيال مستعمراتها ، بينما أعلنت الملكة ولهلمينا فى شهر ديسمبر سنة ١٩٤٢ لاندونيسيا المحتلة من طرف اليابانيين ان « مؤتمر مائدة مستديرة » سيدعى بمجرد التحرير لتسوية علاقة أندونيسيا مع هولندا على أساس المساواة •

وفى عام ١٩٤٣ كان امضاء الهدنة من طرف المريشال بادليو المؤسس الاكبر للامبراطورية الفاشستية الايطالية ـ ايذانا بانهيار هذه الامبراطورية والتخلى عن أراض شاسعة مثل الحبشة والبانيا والدوديكانيز واريتريا والصومال وليبيا •

وأدى استسلام اليابان عام ١٩٤٥ الى اضمحلال امبراطورية استعمارية أخرى أوسع وأضخم •

والرأى العام الدولى وهو لا يزال تحت تأثير الحرب أصبح عداؤه للاستعمار يزداد يوما بعد يوم • ويحتوى ميثاق الامم المتحدة الممضى بسان فرانسيسكو

يوم ٢٥ يونية سنة ١٩٤٥ على فصل كامل (وهو ١١) يندد فيه بالاستعمار ويضع المبادىء التى يجب أن تحكم بموجبها الاقطار المستعمرة •

ويرمى هذا الفصل (البندان ٧٣ ـ ٧٤) الى حماية سكان المستعمرات وتحديد امتيازات الدول المستعمرة •

ويبدأ التصريح « بجعل مشروعية الاستعمار مرتكزة على رسالته المقدسة التى قوامها العمل بكل مافى المستطاع على تحقيق رفاهية سكان تلك الاقطار » • ثم يستنكر سياسة الاستعباد لان الدول الموقعة على الميثاق « تعترف بمبدأ أولوية مصالح سكان الاقطار المستعمرة » بل ان الميثاق استنكار للادماج المفروض اذ من واجب الدول تحقيق الرقى السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى تلك الاقطار مع احترام ثقافة السكان « ويقترح الميثاق أخيرا انتهاج سياسة الاستقلال الذاتى وقد قبل أعضاء هيئة الامم المتحدة تطوير أهلية هذه الاقطار لحكم نفسها بنفسها واعتبار « مطامع هؤلاء السكان السياسية » واعانتهم على تطوير مؤسساتهم السياسية الحرة تدريجيا •

فماذا كانت نتيجة هذا الانقلاب العالمى الهائل وأفكار ما بعد الحرب فى الامبراطورية الاستعمارية غير التى انهارت على أثر الانهزامات العسكرية ؟

لم تكن تلك الامبراطوريات قد عرفت نفس النهاية المفجعة التى عرفتها الامبراطوريات المنهارة فانها لم تبق من أجل ذلك مستقرة ،ذلك أن انبعاث وطنية الاهالى السريع قد زعزع هذه الامبراطوريات بكيفية خطيرة • ولمحاربة المطامح المشروعة التى تهدف اليها هذه الوطنيات ولتلافى مشاريع الرقابة الدولية استخدمت الدولة المستعمرة أساليب تختلف باختلاف مزاجها الوطنى مع ترك مسئولية هيئة الامم فى هذا الميدان جانبا •

الولايات المتحدة :

كانت جزر الفيليبين قد أصبحت عام ١٩٣٥ دولة تتمتع باستقلالها الذاتى ولكن خاضعة للرقابة الامريكية وقد أعلن استقلالها عام ١٩٤٦ تنفيذا للالتزامات السابقة •

هولندا :

تمخضت المعارك الدامية التى أدت اليها عودة الهولنديين الى جاوة عن

استقلال الجمهورية الاندونيسية التى أصبحت فى الوحدة الهولندية الاندونسية عضوا وندا لهولندا •

المملكة المتحدة :

اجتازت الامبراطورية البريطانية خلال الحرب الاخيرة مرحلة عصبية استثنائية فى تاريخها ، غير أن دهاء بريطانيا العظمى الدبلوماسى الفائق واجه هذه الحالة بمرونة وتبصر وحكمة •

وقد أصبحت بورما مستقلة ومنفصلة عن الجامعة البريطانية •

ولم تكتف المملكة المتحدة بأن تبرز بتجديد ثورى وهو احداث دومنيونات تختلف باختلاف أهلها كالهند والباكستان وسيلان بل خولت لمعظم ممتلكاتها من الجامايك الى ماليزيا الى نيجيريا وجزيرة موريس ـ دساتير جديدة موسومة بطابع واسع من الحرية وآخر دومنيون نشأ هو ساحل الذهب الذى يقع فى قلب أفريقيا السوداء •

ويعلم من جهة أخرى أن تصفية الامم المتحدة للامبراطورية الايطالية السابقة قد أدت الى استقلال برقة وليبيا •

الحل الفرنسى :

لاحظ الكسندر فارين (فى ذكريات حول جورج منديل بقلم فرنسيس فارين طبعة ١٩٤٥ ـ ص ٢٠٧ـ٢٠٨ كتبها بعد عودته من الهند الصينية على أثر محادثة أجراها مع جورج منديل حوالى شهر أغسطس من سنة ١٩٣٩) قائلا : « اننا لم نفرق فى التطبيق الادارى بين الشعوب التى توجد بينها أشد الفروق فقد عاملنا بنفس المعاملة تقريبا أناميا متوهلا للظفر بشهادة التبريز فى باريس وزنجيا متطيرا من زنوج أفريقيا الاستوائية •

كما أننا جردنا فى تطبيقنا الادارى شيئا فشيئا ولكن بصورة محققة سلطان المغرب من كل سلطة وكذلك باى تونس وامبراطور الانام وملك الكومبودج •

فبدلا من تركيز سلطة مراقبتنا على ما كان للمؤسسات القديمة من نفوذ قضينا بأيدينا على هذا النفوذ وتحملنا جميع المسئوليات •

ولكن فى هذا الوقت الذى يجرى فى العالم انقلاب عميق وفى هذه الساعة التى يتعين على بلادنا ـ كما يلوح ـ أن تطبق سياسة الدومنيون اذا

أرادت أن تحتفظ بامبراطوريتها الاستعمارية تلك السياسة التى أنقذت الامبراطورية البريطانية ـ فان مسألة الحمايات والميز بين الاجناس ما زالت موضوعة على البساط بشكل ملح .. »

وقوام اصلاح هذه الحالة هو قلب كل السياسة المتبعة فى امبراطوريتنا منذ أزيد من ثلاثين سنة ، أى أن نرجع الى السلطات والادارات الاهلية معظم النفوذ الذى جردناها منه تدريجيا .

« ان حل المشكل ليس بسهل وقد برهن مندل على ادراكه لذلك عندما صرح بأن الوزير الذى يتجرأ على القيام بهذا العمل يثير ضده جزءا من البرلمان وجميع الادارات المحلية وجميع كبار الموظفين » .

وان لمندل الحق فى اطالة القول فى هذه المعارضة القوية التى يلاقيها تحقيق مثل هذا العمل لانه يعلم أكثر من غيره أن التعلق بأهداب الماضى هو أبرز خصائص سياسة فرنسا الاستعمارية فقد تخلت انجلترا قبل الآن عن العقد الاستعمارى ، وبينما العالم أجمع يعلم أن هذا العقد قد حكم عليه حكما مبرما اذا بفرنسا لا تزال تعمل مع ذلك على الاحتفاظ به أو الاستيحاء منه فى سياستها الاستعمارية على العموم .

وازاء هذا التشبث بالماضى يبرهن الاستعمار الفرنسى عن اخلاصه لمبادىء الادماج التى هى محور المؤتمر الافريقى الذى انعقد فى برازافيل فى شهرى يناير وفبراير سنة ١٩٤٤ قصد :

اتخاذ « أحسن الوسائل لادماج الامبراطورية الفرنسية فى فرنسا الغد وبالاخص فى الدستور الجديد الذى ستضعه البلاد » لان فرنسا كان عليها أن تجازى المستعمرات وأقطار الحماية على اخلاصها .

فزيادة على توصية المؤتمر بفرض العمل الاجبارى على الشبان الاهالى فانه وضع فى المقدمة المبدأ الآتى : « ان غايات العمل التمدينى المنجز من طرف فرنسا فى مستعمراتها يقضى على كل فكرة للحكم الذاتى وكل امكانية للتطور خارج الكتلة الفرنسية الامبراطورية كما يجب اقصاء كل تشكيل محتمل حتى فى المستقبل البعيد لحكومة ذاتية فى المستعمرات ، وحرر المؤتمر توصية أخرى:

« يجب أن يكون التعليم باللغة الفرنسية وأن يمنع مطلقا استعمال اللهجات المحلية فى هذا التعليم سواء فى المدارس الحرة أو الرسمية .. »

وهكذا فان تطور السياسة الاستعمارية الفرنسية كما حدده مؤتمر برازافيل لم يزد على كونه استأنف البرنامج التقليدى الذى كان فى الحقيقة يترك الاهالى بدون حماية فريسة لاستغلال غير انسانى والحكم الذاتى الذى يعدون به البلاد المستعمرة ليس معناه تحرير سكانها من جور الادارة الاستعمارية وطغيانها ولكن تجرد هذه الادارة نفسها من تلك المراقبة البسيطة التى تفرضها عليها سلطات فرنسا .

الاتحاد الفرنسى :

وبما أن فرنسا المحررة كانت مرتبطة بخيار منها بما التزمته فى برازافيل وسان فرانسيسكو فقد اضطرت الى أن تعبر بواسطة القانون عن سياستها الاستعمارية الجديدة ويحتوى الدستور الفرنسى الموضوع سنة ١٩٤٦ على فصل يتعلق بالاتحاد الفرنسى وهيئاته .

وتضع مقدمة الدستور هذا المبدأ : وهو أنه لا يمكن أن يكون أى أحد فى حالة اقتصادية واجتماعية وسياسية وضيعة تتنافى مع كرامته وتساعد استغلاله بسبب جنسه أو سنه أو لونه أو جنسيته أو دينه أو أفكاره أو أصوله الجنسية أو غير ذلك وتقرر المقدمة كذلك اقصاء كل نظام استعمارى يرتكز على الاستبداد .

أما داخل هذا الاتحاد نفسه فلا يوجد كثير من الاصلاحات الاساسية حسب الدستور الذى يقتصر على اقرار الوضع القائم والامر الواقع .

ويعتبر الدستور فيما يخص المستعمرات أن أربعا من أقدمها أصبحت مقاطعات فيما وراء البحار .

أما الحمايات فانها تصبح « دولا مشاركة » دون أن يغير ذلك من علائقها مع فرنسا وكل واحدة من هذه الدول تضع رهن اشارة حكومة الجمهورية الفرنسية كامل وسائلها ، والحكومة الفرنسية هى التى تتولى وحدها تنسيق هذه الوسائل وتوجيه السياسة الكفيلة بتهيىء وضمانة الدفاع عن الاتحاد ، فسلطة الحكومة الفرنسية والحالة هذه لا حدود لها .

ولهذا الاتحاد رئيس معين سلفا وهو رئيس الجمهورية الفرنسية ولحد الآن ليس للدولة المشاركة سوى الالتزامات وللحكومة الفرنسية الكلمة العليا فى المجلس الاعلى للاتحاد •

ومجلس الاتحاد الذى يتألف نصفه من أعضاء معينين من طرف الاحزاب الفرنسية لا يقوم الا بدور استشارى فهنالك اذن نوع من الاحتكار السياسى والاقتصادى والعسكرى والدبلوماسى أحدث سلفا لفائدة الحكومة الفرنسية ، وهذا الاحتكار يرتكز على فكرة متأصلة جدا وهى أن العدول عن أساليب الحكم المباشر الاستعمارية والاعتراف بحق الشعوب فى تقرير مصيرها بنفسها بواسطة مؤسسات وطنية معناه التخلى عن مصلحة فرنسا ومهمتها ، فالاتحاد الفرنسى ليس فى الحقيقة سوى ستار يتقنع به استمرار النظام الاستعمارى الذى لم يستنكره عليه الا فى الظاهر •

وهذا النظام العتيق فى جوهره قد زادته تعقيدا الروح الرجعية التى تذكى أقلية من المعمرين وأرباب البنوك وأصحاب المعامل الذين استقر عزمهم على الدفاع مهما كلفهم الامر عما يتمتعون به من امتيازات باهظة وأقرب شاهد على ذلك نتائج الاستفتاء الذى وقع بخصوص مشروعى الدستور فى مايو ويونيو وأكتوبر من سنة ١٩٤٦ فقد كانت هنالك فى كل مرة أغلبية بين فرنسيى ما وراء البحار ترفض هذين المشروعين فاذا أسقطنا من هذه النتائج اقتراعات لاريونيون والانطيل والسنغال لاحظنا أن الاستفتاء أسفر فى الاتحاد الفرنسى يوم ٥ مايو عن ١٨٨ر٢٧٦ صوت بالنفى فى مقابل ١٣٢ر٢٤٩ صوت بالايجاب • وفى يوم ١٣ أكتوبر عن نسبة أشد وهى ٠٠٠ر٢٩٣ صوت بالنفى فى مقابل ٨٧٩ر١٦٠ صوت بالايجاب ، وهذا النقد الصريح من شأنه أن يدعو الى الاستغراب لا سيما وان كلا المشروعين لا يحفظ مصالح سكان المستعمرات الحقيقية كما لا يرضى مطامحهم المشروعة وتشهد بذلك حرب الهند الصينية (١٩٤٦) ومجازر سنة ١٩٤٥ فى سطيف ودوالة وسنة ١٩٤٧ فى أبيجان وحوادث مارس سنة ١٩٤٧ فى مدغشكر زيادة على الازمتين التونسية والمغربية وما يقع فى البلادين من اضطهادات ومع ذلك فلا ينكر أحداليوم أنه بعد انهزام فرنسا العسكرى عام ١٩٤٠ لم يحاول الاهالى فى أى مكان ولا زعماؤهم استغلال ضعف فرنسا ، بل بالعكس فان « الامبراطورية » كلها قد تكتلت فى

الكفاح عام ١٩٤٢ باستثناء الهند الصينية التى كان يحتلها اليابان واندمج عشرات الآلاف من أبناء جميع هذه المستعمرات فى جيوش التحرير كالرماة ورجال الكوم •

واذا لم تكن « الامبراطورية » هى التى حررت وحدها فرنسا فيمكن القول بأنها هى التى أنقذتها وعلى فرنسا اذن أن تعترف لها بالجميل ولا يمكن أن يكون الاعتراف بهذاالجميل سوى بتخويلها حرية القبض على زمام مصيرها •

المطامح الوطنية

ان ما قاساه الشعب المغربى من المحن والنكبات جعله يؤمن بأن ازدهار مؤسساته وأنظمته الوطنية وانتشار الحريات الديموقراطية فيه وتطبيق الاتفاقات الدولية التى وضعتها هيئة الامم المتحدة لفائدة الانسانية كل ذلك يتنافى مع الاحتفاظ بنظام الحماية الراهن •

لقد قاوم الشعب المغربى بجميع ضروب المقاومة الغزو الاستعمارى المتستر خلف مظاهر الحماية وانتهت به مقاومته :

ا ـ الى بيان ١١ يناير سنة ١٩٤٤ الذى تجلت فيه ارادته وتصميمه على الغاء الحماية واستقلال البلاد واقامة نظام ملكى دستورى •

ب ـ الى ميثاق طنجة المبرم فى تاريخ ٩ أبريل من سنة ١٩٥١ بين الاحزاب الوطنية الآتية :

١) حزب الاستقلال •

٢) حزب الشورى والاستقلال •

٣) حزب الاصلاح الوطنى •

٤) حزب الوحدة والاستقلال •

وتتعهد الاحزاب الوطنية فى هذا الميثاق بأن توحد جهودها وتعمل جمعيها فى دائرة المبادىء التى قررتها واتفقت عليها كأساس لبرنامجها ونشاطها فى الحاضر والمستقبل •

وتنحصر هذه المبادىء فيما يأتى :

أولا ـ أن تعمل هذه الاحزاب جميعا لاستقلال المغرب استقلالا تاما فلا

يقبل أى حزب مبدأ الانخراط فى الوحدة الفرنسية وانما تقوم العلاقات بين المغرب المستقل وبين فرنسا على أساس معاهدة جديدة •

ثانيا ـ انه لا غاية يسعى اليها قبل الاستقلال •

ثالثا ـ لا مفاوضة قبل اعلان الاستقلال •

رابعا ـ لا مفاوضة مع المستعمر فى الجزئيات ضمن النظام الحاضر •

خامسا ـ كل عمل يؤيد توجيهات الاقامة العامة ضد جلالة الملك محمد الخامس يعتبر خرقا لمبدأ الميثاق •

سادسا ـ تعاون مراكش مع الجامعة العربية وفى دائرتها قبل الاستقلال وبعده واجب قومى •

سابعا ـ يلتزم الموقعون أن لا يقبلوا تأليف جبهة مع الشيوعيين المغاربة •

ثامنا ـ تؤسس الاحزاب الموقعة لجنة اتصال وتشاور مع الاحتفاظ لكل حزب بحريته ضمن هذا الميثاق •

أما موقف الحكومة المغربية من نظام الحماية فهو يتجلى لا من خلال التصريحات الرسمية التى أدلى بها صاحب الجلالة فى مناسبات مختلفة فقط بل أيضا من المحادثات التى أجراها جلالته رسمياً مع الحكومة الفرنسية أثناء زيارته لباريس فى أكتوبر سنة ١٩٥٠ •

١) بعض التصريحات الرسمية لجلالة الملك

أدلى صاحب الجلالة فى طنجة بتاريخ ١٢ أبريل سنة ١٩٤٧ أمام السلك الديبلوماسى الذى جاء يحيى جلالته بالتصريح الآتى :

« لقد شارك المغرب فى الحرب الاخيرة ـ كما تعلمون ـ بأبنائه وبجميع ما لديه من وسائل الى أن تم النصر النهائى • وقد أخذت الشعوب اليوم تطالب بحقوق متلائمة مع العصر الحاضر • فمن العدل أن ينال الشعب المغربى حقوقه المشروعة وأن تتحقق مطامحنا ومطامحه التى هى مطامح جميع الشعوب » •

كما صرح جلالته أمام الصحافيين بنفس التاريخ فى طنجة :

« ان المغرب حريص على أن تكون له فى المستقبل علاقات ودية مع جميع البلاد التى دافعت عن الحرية وما تزال تدافع عن قضيتها • كما يود من صميم فؤاده أن ينال حقوقه كاملة • فمن البديهى أن المغرب ـ وبينه وبين بلاد الشرق

العربي روابط متينة ـ يود أن تزداد تلك الروابط توثقا وتماسكا لا سيما وأن الجامعة العربية أصبحت أداة مهمة تقوم بدور عظيم في السياسة العالمية » .

وجاء في خطاب جلالته للشعب في طنجة أيضا :

« لقد استيقظت الامة وتنبهت لحقوقها وسلكت لطرق مجدها أنفع طرق .. ان حق الامة المغربية لا يضيع ولن يضيع .. » .

وفي بلاغ أصدرته الكتابة الخاصة لصاحب الجلالة بتاريخ سبتمبر سنة ١٩٤٧ نجد ما يأتي :

« ان صاحب الجلالة لا يعارض مطلقا في منح رعاياه الاوفياء حق الانتخاب بل انه ماانفك يبين بأن هذا الحق يجب أن يمنحوه بالشروط المعروفة طبق قانون عادل . فجلالته يعلق أهمية عظمى على أن يكون حق الانتخاب على درجة واحدة وأن يكون مماثلا في كل شيء لنظام الانتخاب عند الشعوب الحرة » .

وفي خطاب العرش لسنة ١٩٤٧ قال جلالته :

« اننا لم نحد عن الخطة التي سطرناها لانفسنا في خدمة بلادنا والسعي وراء مصلحة شعبنا والاخلاص كل الاخلاص لمبدأ الاسلام الديموقراطي وبذل كل مواهبنا حتى ينال رعايانا المخلصون ما يحق لهم جميعا من أن يكونوا أمة حرة تتمتع بكل حقوقها الشرعية وتحظى كأمة مسلمة بوحدتها وسيادتها وتتربع مكانها الذي تستحقه بين كل الدول الحرة المتمتعة بكل ما يجب لها من الحقوق » .

وفي خطاب العرش أيضا لسنة ١٩٤٩ :

« نحن متيقنون أن لاشيء يضمن المصالح العامة مثل النظام الديموقراطي الذي سن الاسلام مبادئه الاساسية قبل أن يتخذ شكله الحديث » .

وفي خطاب العرش لسنة ١٩٥٠ :

« ولم يغب عنا لحظة واحدة أن أفضل حكم ينبغي أن تعيش في ظله بلاد تتمتع بسيادتهاوتمارس شئونها بنفسها هو الحكم الديموقراطي الذي تقوم عليه الدول المعاصرة » .

٢) محادثات باريس أكتوبر سنة سنة ١٩٥٠ :

كان موضوع محادثات باريس خاصا بالقضية المغربية . فقد طالب صاحب

الجلالة الحكومة الفرنسية بالغاء عقد الحماية المبرم فى سنة ١٩١٢ ولكن الحكومة الفرنسية رفضت ذلك رفضا تاما كما يتضح ذلك من الفقرة الآتية من خطاب العرش سنة ١٩٥٠ :

« وانكم لتعلمون علم اليقين مبلغ سهرنا على مستقبل المغرب وحرصنا على رعاية مصالحه وحقوقه والاحتفاظ بمقوماته وكيانه »

ولهذا فقد جعلنا مقصدنا الاكيد ـ بعدما لبينا الدعوة الجميلة التى وجهها لجنابنا الشريف فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية لزيارة فرنسا ـ أن نعرض القضية على من لهم الحل والعقد من رجال الدولة الفرنسية ونسعى معهم فى الوصول الى الحل الذى يرضى الرغائب ويحقق المطامح ولم يكن قط هدفنا من المحادثات السياسية التى أجريناها بفرنسا أن نظفر بتقوية سلطتنا لغاية شخصية وانما قصدنا بمساعينا وجهودنا صالح البلاد ورقيها وتقدمها • لقد عرضنا مطلبنا على من يهمهم الامر من رجال الدولة الفرنسية بالكتابة والقول وأضفينا عليه حلة الوضوح والبيان وذلك بأن رغبنا فى أن تبنى علاقات المغرب بفرنسا على أسس جديدة وأن يقع الاتفاق بيننا وبينها على الغاية من تلك العلاقات على أسباب الوصول اليها بمعونتها • وعرضنا هذا المطلب فى دائرة الود والصداقة وما زلنا نؤمل انه سيظفر فى مستقبل الايام بالآذان الصاغية والقبول الجميل لاننا مقتنعون بأن الاساس الذى ترتكز عليه العلاقات السياسية بين الدول يجب أن يجرى على سنة الكون ويساير تطور الاحوال ويراعى تبدل الظروف » •

* * *

وهكذا فنظام الحماية لم ينجح فى شىء سوى اثارته السخط عليه من الامة المغربية حكومة وشعبا • وفرنسا لا يمكنها أن تستمر فى فرضه على المغاربة الا بالقوة والعنف • الامر الذى يجعل البلاد تعيش فى حالة دائمة من الهيجان والاضطراب ويخل بالامن العام وطمأنينة السكان اخلالا خطيرا •

وقعت فى الارقام الواردة فى الكتاب بعض الاخطاء نرجو من القارىء التفضل بتصحيحهـــــاوهى :

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
١٠٤	٢١	١٩١٢	١٩٨٢
١٠٤	٢٣	٢١٧٩	٢١٧٠
١١٢	٨	٢ر٦٣٢٠٠٠ر٠٠٠	٢ر٦٣٩ر٠٠٠ر٠٠٠
١١٢	١٠	٤٧ر٧٨٣٠٠٠ر٠٠٠	٣٧٧٨٣ ٠٠٠ر٠٠٠
١١٣	٧	٣٢١٩	٤٢١٩
١١٣	١٢	١ر٨	١ر١٠
١١٥	٢٢	١٤٥٢ر٢	١٤٠٢ر٢
١١٧	٢٨	١٧٨٢	١٧٨٢ر٢٧
١١٧	٣١	٥٥٥٦ر٦٨	٥٥٥٦ر٩٥
١١٧	٣٢	٣٣٣٤٥ر٦٨	٣٣٣٤٥ر٩٥
١١٨	١٧	٢ر٨٧٨ر٥٢٣ر١٤٨	٢ر٨٧٨ر٥٢٤ر١٤٨
١١٩	٢٦	٤٥٧ر٠٠٠	٤٥٧ر٨٠٠
١٢٢	١٦	٩٤٠ر	٩٥٠ر
١٢٤	١	٦٠٠ر	٦٦٠ر
١٤٠	٢٠	٣ ٢٥ر٩٠٠ر٠٠٠	٣ر٦٢٥ر٩٠٠ر٠٠٠

obeikandl.com